

مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

المجلد الثامن والعشرون **رجب 1445هـ / يناير 2024م** **العدد الخامس والخمسون**

ISSN 1823-1922 & eISSN: 2600-9609 الترقيم الدولي

Correspondence مراسلات المجلة

Managing Editor, *At-Tajdid*
Research Management Centre, RMC
International Islamic University Malaysia
P.O Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6421-5074/5541
E-mail: tajdidiium@iium.edu.my
Website: https://journals.iium.edu.my/at-tajdid/index.php/Tajdid

Published by:
IIUM Press, International Islamic University Malaysia
P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Phone (+603) 6421-5014, Fax: (+603) 6421-6298
Website: http://iiumpress.iium.edu.my/bookshop



مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

المجلد الثامن والعشرون **رجب 1445هـ / يناير 2023م** **العدد الخامس والخمسون**

المحتويات

ترتيب البحوث في المحتويات حسب وصولها واستكمالها

التجديد
المجلد 28، العدد 55
رجب 1445هـ / يناير 2024م، ص 73-103
حقوق الطبع محفوظة ل IIUM Press
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
ISSN: 1823-1926 (Print)
eISSN: 2600-9609 (Online)

درس النصرانية عند الباقلاني من خلال كتابه "التمهيد": مناقشة مسائل الجوهر والأقانيم والاتحاد

The Study of Christianity according to Al-Bāqillānī through his book *'Al-Tamhīd'*: A Discussion on Essence (*al-Jawhar)*, Hypostases (*al-Aqānīm)*, and Unity (*al-Ittiḥād)*

بدران بن لحسن* ، إبراهيم محمد زين**

[قُدّم للنشر 2023/12/27م – أُرسل للتحكيم 2023/12/28م – قُدّم بعد التعديل 2024/01/10م - قُبل للنشر 2024/01/12م]

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل نص كتاب "التمهيد" للباقلاني بالتركيز على تناوله العقائد النصرانية في إطار درس مسائل الجوهر والأقانيم والاتحاد، لاستكشاف القواعد والمسائل والنتائج التي توصل إليها الباقلاني، ولا سيما أن اتجاهات درس تراث الباقلاني لم تركز على هذا الموضوع وتخصصه بالتحليل، وتوزعت على اتجاهات ثلاثة؛ تلخيصًا لكتاب "التمهيد"، أو تركيزًا على مناظراته، أو وضعه في سياق الجدل الكلامي الإسلامي المسيحي، وقد اعتمد البحث منهج تحليل المحتوى، وتوصل إلى أن الباقلاني وظف الجهاز المفاهيمي الكلامي لدرس النصرانية، ولكنه بنى أطروحته على أساس مقدمات عقلية، وإلزام النصارى بمنطقهم، والرجوع إلى نصوص العهدين القديم والجديد، ووثائق المجامع المسكونية رجوعًا غير مباشر، ويعدُّ ذلك تأسيسًا مبكرًا لقواعد درس الأديان في التراث العلمي الإسلامي بتوظيف المناهج العقلية والوثائق الدينية

* الباحث المراسل؛ أستاذ مشارك باحث بمركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر، البريد الإلكتروني: bbenlahcene@qu.edu.qa.

** أستاذ مقارنة الأديان، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة حمد بن خليفة، قطر، البريد الإلكتروني: izain@hbku.edu.qa.

المعتمدة لدى أهل الدين المدروس.

الكلمات المفتاحية: الباقلاني، التمهيد، الجوهر، الأقانيم، الاتحاد.

Abstract

This research attempts to analyze al-Bāqillānī's book al-Tamhīd focusing on the Christian creeds on essence, hypostases, and incarnation to infer the principles, results, and issues that al-Bāqilānī articulated in his book. It should be noted that studies on al-Bāqilānī's book ignored this aspect of his contribution to knowledge and focus mainly on three types of research. First, research that makes a summary of al-Tamhīd. Second type of research focuses on al-Bāqillānī's disputations with Christians and others. Third, the one that focuses on his place in the history of theological polemics between Muslims and Christians. More to the point, this research is mainly based on content analysis method. The research concludes that al-Bāqillānī utilizes the theological framework in his study of Christianity. However, he distinguishes himself from Muslim theologians by building his critique upon a set of rational postulates and develops several arguments from within the Christian theological sensibilities. Furthermore, he quotes extensively from both the Old and New Testaments. Additionally, he refers indirectly to the Chalcedonian Council documents. Finally, we consider him as the first Muslim theologian who both refers directly to the sources of other religions and establishes rational principles for their study.

Keywords: Al-Bāqillānī, al-Tamhīd, Essence (*al-Jawhar)*, Hypostases (*al-Aqānīm)*, and Unity (*al-Ittiḥād).*

مقدِّمَة

توسع دارسو تراث أبي بكر الباقلاني في تناول جوانب عدة من شخصيته العلمية وإسهاماته في درس مجالات مختلفة، كإعجاز القرآن والبلاغة والبيان وعلم الكلام والفقه وأصوله والسيرة، غير أن هناك جانبًا مهمًا من تراث الباقلاني العلمي متمثلاً في درسه الأديان لم يلق العناية الكافية، فبمراجعتنا الأدبيات المتعلقة بذلك وجدناها لا تكاد تساوي شيئًا بالمقارنة مع العناية التي تلقتها جوانب فكره الأخرى، لذا ما زال درس الأديان في تراث الباقلاني في حاجة إلى تناول ونقاش لاكتشاف إسهامه العلمي فيه، ولا نقول هذا نفيًا لما أنجزه الباحثون الآخرون في هذا السياق، ولكن المتمعن فيما كُتب يجد أن أكثره تناوُل عرضي لموضوعات درس الأديان، ولا سيما كتابه "التمهيد" الذي لم يحظ بالتحليل والمناقشة واستخراج قواعد درس الأديان، كما سعى الباقلاني إلى وضع لبناتها، ولا سيما

درسه الأديان الكتابية، فقد ركز كثير من الدارسين على مناظراته النصارى، على الرغم من أنها لم ترد في كتاب معتمد ينسب إليه، إلا ما وُجد في كتب التراجم، أما التركيز على تحليل كتاب "التمهيد"، فإن الدراسات فيه محصورة جدًا، وهذا دفعنا إلى تناول درس الباقلاني للنصرانية، حيث إنه جاء في مرحلة من تاريخ المعرفة الإسلامية كانت تهيمن عليه كتب الجدل والردود سواء ضمن حقل علم الكلام أم ضمن الجدل الإسلامي المسيحي.

وتكمن أهمية درس الباقلاني للأديان في أنه على الرغم من انتمائه إلى سلسلة كبار المتكلمين في حقل الكلام السني، لم يتناول الأديان من منظور كلامي، وإنما أحدث طريقة جديدة في درس الأديان، فمع توظيفه الجهاز المفاهيمي الكلامي، يجد الناظر في كتاب "التمهيد" أن الباقلاني انطلق من قواعد عامة عقلية لدرس الأديان بعيدة عن فكرة الرد والدفاع عن العقائد الإيمانية، وأضاف إلى طريقته في درس الأديان رجوعه إلى النصوص الدينية الكتابية في العهدين القديم والجديد ووثائق المجامع المسكونية، مما جعل إسهامه في حقل دراسة الأديان بعامة ودراسة النصرانية واللاهوت النصراني بخاصة؛ في حاجة إلى تحليل لاستكشاف الأسس التي بنى عليها مقاربته في درسه لها، والمفاهيم التي استعملها، ومصادره فيها، والنتائج التي توصل إليها.

وما قلناه سابقًا يجعل الباقلاني حلقة مهمة في التراث العلمي الإسلامي في درس الأديان، جاء بعد الإمام الأشعري، واستثمر ما أنجزه الإمام الأشعري في درس فرق المسلمين وغيرهم، وأضاف إليها خبرته العملية في نقاش أصحاب الأديان الأخرى وفهمهم، ليمهد لمن جاءِ بعده من رواد درس الأديان في التراث العلمي الإسلامي.

وفي هذا السياق يسعى هذا البحث إلى تناول كتاب "التمهيد" للباقلاني بمنهج تحليل المحتوى، بالتركيز على ما تناوله الباقلاني في موضوع درس النصرانية، متوسلين بنص "التمهيد" تحقيقين مهمين جدًا، أحدهما تحقيق الخضيري وأبو ريدة، لما فيه من مقدمة ضافية وتدقيق علمي لنص الكتاب، مع الرجوع أيضًا إلى تحقيق آخر قام به الأب مكارثي، استدراكًا منه على المحققين السابقين، لأنهما حسب رأيه لم يتمكنا من الرجوع إلى نسختين مخطوطتين في إسطنبول على الرغم من معرفتهما إياهما بسبب ظروف حالت دون ذلك،

واعتمدا فقط على نسخة مخطوطة باريس، وبعد حصوله على نسختي المخطوطتين استدرك النقص الكامن في تحقيقهما، ولكن ما يهمنا في التحقيق الذي قام به الأب مكارثي تأكيداته ما ذكره الباقلاني من نصوص العهدين القديم والجديد التي تؤكد اطلاعه على نصوص النصارى بما يتطابق مع نسختها المعتمدة لديهم، مما يضفي أضواء جديدة على درس النصرانية في التراث العلمي الإسلامي، وينفي أي دعوى في أن علماء المسلمين لم يكونوا على اطلاع على نصوص العهدين.

وقد اتجه عملنا في هذا البحث إلى نص الباقلاني أصالة لتحليله واستخراج القواعد والمسائل وطريقة الباقلاني في درس النصرانية، ولم تحتفل الورقة كثيرًا بما يسمى "مناظرة الباقلاني للنصارى"، لأنها لم تثبت نصًا صريحًا منسوبًا للباقلاني، بقدر ما كانت روايات نقلها أصحاب التراجم، وسعى بعض الباحثين المعاصرين إلى جمعها في نص واحد، وكانت في مجملها في سياق إفحام الخصم وإثبات العقائد الإيمانية، وليست درسًا مؤسسًا على قواعد واضحة يمكن الاستفادة منها، فما توفر من مادة علمية في "التمهيد" يمثل في رأينا نصًا كافيًا لفهم إسهام الباقلاني في درس النصرانية، ووضعه في سياق تطور درس الأديان في التراث العلمي الإسلامي.

ومن أجل تحقيق ذلك يقسم البحث بناء على المسائل الأساس التي تبدت عند قراءة نص "التمهيد" المتعلق بالنصرانية، وهي مسألة قول النصارى إن الله سبحانه جوهر، ومسألة الأقانيم، ومسألة الاتحاد.

وقبل تناول هذه المسائل واستخراج طريقة الباقلاني في مناقشتها، كانت مراجعة الدراسات السابقة التي تبين أنها تشير إلى اتجاهات ثلاثة في تناول درس الباقلاني للأديان، فهي إما سعت إلى استخراج منهج الباقلاني من خلال تلخيص كلامه في "التمهيد"، وإما تناولت مناظراته النصارى، وإما ناقشت وضعه في سياق الجدل الإسلامي المسيحي، مما جعل الحاجة المنهجية ماسَّة إلى تخصيص "التمهيد" بالتحليل في سياق درس النصرانية، وهو ما يمثل أطروحة هذا البحث.

وأما الدراسات السابقة التي تناولت دراسة الباقلاني للنصرانية، فنرى أنها إما ركزت

على تلخيص كلام الباقلاني في "التمهيد" وبيان منهجه في درس النصرانية، وإما على درس مناظراته في سفارته إلى بيزنطة، وقد جُمعت في كتب التاريخ والتراجم.

أما في الاتجاه الأول الذي لخص كلام الباقلاني في "التمهيد" وبيان منهجه، فنجد بحث ثريا عزوزي، الموسوم "نقد الباقلاني لمفهوم الجوهر عند نصارى عصره"،[1] وفيه درست مصطلح "الجوهر" في السياق النصراني، ونقد الباقلاني إياه، غير أنها ركزت على معاني المصطلح عند آباء الكنيسة أكثر مما ركزت على نقد الباقلاني، ثم إنها لم تتناول ما يبنى على مفهوم الجوهر من اعتقاد في الأقانيم والاتحاد بين الناسوت واللاهوت.

وأما غالب بن سعود بن غازي السيف في دراسته المعنونة "منهج القاضي أبي بكر الباقلاني في الحوار مع النصارى: كتاب تمهيد الأوائل نموذجًا"،[2] فقد تناول قضية الجوهر عند الباقلاني في كتاب "التمهيد"، وطوّف حول قضايا كثيرة صلتها ضعيفة بموضوع أطروحته، وعلى الرغم من تناوله مسألة الجوهر، والتثليث، والتجسد، والصلب، غير أن الناظر في البحث يجد إيرادًا مكثفًا لنصوص الباقلاني، من دون تحليل يُظهر الأساس المنهجي والمفاهيم التي وظفها الباقلاني في درس الموضوع.

وأما في الاتجاه الثاني الذي درس سفارة الباقلاني إلى الروم، فنجد دراسة صلاح محمود الباجوري الذي تناول "مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى: دراسة عقدية"،[3] وفي دراسته استعرض فن المناظرة وأهميته في الدعوة والرد على خصوم الإسلام، ثم أفرد بالتحليل النصوص التي حفظتها كتب التاريخ والتراجم عن مناظرة الباقلاني ملك الروم والبطاركة من

---

[1] ثريا عزوزي، "نقد الباقلاني لمفهوم الجوهر عند نصارى عصره"، **مجلة المعيار**، 23(48)، 2019، ص119-134.

[2] غالب بن سعود بن غازي السيف، "منهج القاضي أبي بكر الباقلاني في الحوار مع النصارى: كتاب تمهيد الأوائل نموذجًا"، **حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بني سويف**، العدد 12، 31 ديسمبر 2020، ج1، ص879-920.

[3] صلاح محمود الباجوري، "مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى: دراسة عقدية"، **حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة**، العدد 29، 31 ديسمبر 2017، ج1، ص177-272.

حوله، ولم يعول على نصوص الباقلاني في كتاب "التمهيد"، لأنها خارجة عن موضوع دراسته، على الرغم من صلتها الوثيقة بفهم أطروحة الباقلاني في الرد على النصارى، لذا افتقدت هذه الدراسة بعدها المنهجي، فكان أكثرها نقلاً لا يستوفي فهم درس الباقلاني للنصرانية.

وهناك اتجاه آخر لم يخصص الباقلاني بالدراسة وحده، وإنما درسه في سياق تاريخ الجدل الكلامي الإسلامي النصراني، وعلى الرغم من ذلك يمثل هذا الاتجاه إضافة مهمة، لأنه يعطينا السياق التاريخي الذي كتب فيه الباقلاني أطروحته، وكذلك صلتها بسائر الأطروحات الإسلامية والمسيحية في زمانه، وهنا يبدو أن عبد المجيد الشرفي في دراسته القيمة عن الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري، قد تقوّلَ على الباقلاني من دون وجه حق حينما ربط بينه وبين أبي عيسى الورَّاق، وادعى أنه مجرد ناقل لكلام الوراق من دون الإشارة إليه لأسباب تتعلق بأنه كان معتزليًا ثم ألحد، فيورد الشرفي نص الباقلاني الذي قال فيه: "وقد زعم قوم منهم أن معنى الأقانيم التي هي خواص أنها صفات للجوهر، فيقال لهم إذا استحال أن تكون أقانيم وخواص لأنفسها، فإنما تكون صفات وأقانيم لشيء آخر هو غيرها، ولا يقال له إنه هي، وهذا يوجب إثبات أربعة معان منها جوهر وثلاثة خواص له، وهذا ترك التثليث، وإن قالوا هي خواص لأنفسها وأقانيم لنفسها قيل لهم فيجب أن يكون الابن ابن نفسه والروح روح نفسه والصفة صفة نفسها، وهذا جهل عظيم، ويجب بطلان ما هي خواص له ونفيه، وألا يكون هناك مخصوص بهذه الخواص، وهذا إبطال للجوهر..."،[1] ثم يعلق الشرفي على نص الباقلاني مشككًا في أصالته، مدعيًا عليه أنه ينقل عن الورَّاق من دون نسبة قوله إليه، فيقول: "ولا شك عندنا أن صاحب التمهيد قد اعتمد في هذه المسألة على سلفه، مكتفيًا بتلخيص أهم حججه،

[1] أبو بكر الباقلاني، **التمهيد**، تحقيق: محمود محمد الخضيري، عبد الهادي أبو ريدة، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1947)، ص85.

فلا ينبغي أن نغتر بصيغ من مثل: وقد زعم قوم منهم، وقال بعضهم، ونستنتج أن الباقلاني غير مطلع اطلاعًا مباشرًا على دقائق الموضوع الذي يطرقه، وإنما هو يغرف من بحر رجل لم يكن اعتزاله – بله خروجه عن المعتزلة واشتهاره بالإلحاد – يسمح له بذكره، فهو يعبر عن حجج أبي عيسى".[1]

والعجيب أن الشرفي الذي اتهم الباقلاني بالنقل من دون الإشارة، لم يكلف نفسه إيراد كلام الورّاق الذي يثبت صحة أخذ الباقلاني عنه، أو محاولة الكشف عن التناصّ بينهما، مما يقلل من موضوعية الشرفي، وينفي عنه حجية ما ادعاه على الباقلاني، ولا سيما أن الباقلاني اتخذ هذه العبارات التي تدل على أنه هو صاحب النص، قائلاً: "وقال بعضهم"، و"قد زعم قوم"، وغيرها من العبارات التي تؤيدها نصوص "التمهيد" كما يأتي.

ولو سرنا سيرة الشرفي في النظر إلى هذه العبارات، لأدى ذلك إلى اتهامنا للباقلاني بالكذب، أو على الأقل بالتدليس في بيان مصادره، ولكن للوصول إلى تصور موضوعي لدرس الباقلاني للنصرانية، ومدى أصالة أطروحته ومصادرها، وتميز جهازه المفهومي من غيره ممن سبقه في درسها، يسعى هذا البحث إلى سد هذه الفجوة، والخروج من الادعاء على الباقلاني من غير دليل، إلى تحليل مقاربته الموضوع تحليلاً يجليها ويبين الإسهام العلمي للباقلاني في درس الأديان بعامة، ودرس النصرانية بخاصة.

ونقول إننا لفهم أطروحة الباقلاني في درس النصرانية، تبدو الفكرة التي أشار إليها الشرفي – في وضع الباقلاني في سياق الجدل الإسلامي المسيحي – فكرة جديرة بتوظيفها في هذا السياق، وذلك بوضع الباقلاني في سياق تطور درس اللاهوت النصراني في حقل المعرفة الإسلامية، فالكتابات في اللاهوت النصراني في اللغة العربية لم تبدأ إلا في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع للهجرة، وذلك أن يوحنا الدمشقي الذي كتب أولى الأطروحات

---

[1] عبد المجيد الشرفي، **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، (تونس: الدار التونسية، 1986)، ص213-214.

في الدفاع عن عقائد النصارى ضد العقائد الإسلامية إنما كتبها بغير العربية، وكان موجهًا إلى بني قومه، ولم تُعرف نصوصه في السياق العربي إلا بعد قرون من ذلك.

ويبدو من خلال المتوفر من الدراسات اللاهوتية المسيحية والردود عليها في السياق العربي، أنها بدأت مع القاسم الرسي (ت246هـ) الذي كتب "الرد على النصارى"،[1] وابن ربّن الطبري (ت247هـ) الذي اهتدى من المسيحية إلى الإسلام، وكتب في الرد على فرق النصارى،[2] وفي الدفاع عن نبوة محمد ﷺ، وكذلك الجاحظ (ت255هـ) في كتابه "المختار في الرد على النصارى"،[3] وأبو عيسى الوراق (ت247هـ) في كتاباته في الرد على فرق النصارى، ولكن كتابات الوراق ضاعت ولا نجد نصوصها إلا ضمن ردود لاهوتي نصراني جاء بعده هو يحيى بن عدي (ت364هـ) الذي كتب "مقالة في التوحيد"،[4] دافع فيها عن عقائد النصارى في الجوهر والأقانيم والتثليث والاتحاد والتجسد وغيرها، مما نجد الباقلاني قد درسه في كتابه "التمهيد".

والفارق بين يحيى بن عدي والباقلاني أنه اتخذ التوحيد مقدمة لإثبات التثليث، ويبدو أن هذا التوجه من يحيى بن عدي كان القصد منه نقض عقيدة المسلمين في التوحيد، ومن قبلهم اليهود، لإثبات صحة التثليث من خلال عقيدة التوحيد.

وقد وظف الباقلاني الجهاز المفهومي الكلامي في نقد اللاهوت النصراني ونقض التثليث، باختراع لغة كلامية لاهوتية تُثَبِّتُ عرا التوحيد، وتنفي خروج التثليث نتيجة لاحقة للتوحيد، وهذا يبدو عكس ما توخى يحيى بن عدي إثباته، وكل ذلك قائم على النظر في

---

[1] القاسم بن إبراهيم الرسي، **الرد على النصارى**، تحقيق: إمام حنفي عبد الله، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط1، 1424هـ/2000م).

[2] علي بن ربن الطبري، **الرد على أصناف النصارى**، تحقيق: خالد محمد عبده، (القاهرة: مكتبة النافذة، ط1، 2005).

[3] عثمان بن بحر الجاحظ، **المختار في الرد على النصارى**، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، (بيروت: دار الجيل، ط1، 1411هـ/1991م).

[4] يحيى بن عدي، **مقالة في التوحيد**، تحقيق: الأب سمير خليل اليسوعي، (لبنان: المكتبة البولسية، 1970).

العلاقة بين الذات الإلهية والصفات.

ولما كانت طريقة المعتزلة في إثبات التوحيد نفي صفات المعاني وردها إلى الذات؛ كان من الصعب بل المستحيل أن تجد مقالات اللاهوت النصراني أيَّ اعتبار في أي جدال كلامي.

أما الأشاعرة فقد أثبتوا صفات المعاني وأنها زائدة على الذات، ومن ثم توهم علماء النصرانية – من مثل يحيى بن عدي – إمكانية إثبات التثليث من خلال النظر في الصلة بين الذات وصفات المعاني، ولكن الباقلاني انطلاقًا من مقدماته النظرية التي تنطلق من نفي قياس الغائب على الشاهد، ومبدأ القدم والحدوث، قد درس النصرانية بطريقة مختلفة عما درس به يحيى بن عدي التثليث في صلته بالتوحيد، وتختلف أيضًا عن طريقة المتكلمين، على الرغم من توظيفه للجهاز المفهومي الكلامي، إذ نجد الباقلاني الأشعري المعتقد قد استعمل ذات المفاهيم التي استعملها الأشعري في "مقالات الإسلاميين"، وهو يشير إلى معتقدات النصارى في الجوهر والذات مثلاً في قوله: "واختلف الناس في الجوهر وفي معناه على أربعة أقاويل، فقالت النصارى: الجوهر هو القائم بذاته وكل قائم بذاته فجوهر وكل جوهر فقائم بذاته..."،[1] مما نجده في مناقشات الباقلاني وردوده على قول النصارى بالجوهر وفي مفهومهم للذات والأقانيم.

إن هذا السياق العلمي لدرس النصرانية من علماء عصر الباقلاني ومن سبقهم، يبين لنا أن هذه القضايا اللاهوتية النصرانية وكذلك فرقها التي كانت تمثل محور الجدل العقدي آنذاك، كانت معروفة عند من ذكرناهم آنفًا، ولكن ما يميز معرفة الباقلاني بالموضوع أن نقاشاته معتقدات النصارى، وفهمه الخلافات العقدية بين فرقها؛ كانت مطابقة تماما ما تثبته وثائق المجامع المسكونية التي حدثت في تاريخ النصرانية، ولا سيما مجمع خلقيدونية،[2]

---

[1] أبو الحسن الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، 1411هـ/1990م)، ج1، ص306.

[2] Council of Chalcedon – 451 A.D., Papal Encyclicals Online.

وبسببها ثار ذلك الجدل العقدي بين فرقها فيما يتعلق بطبيعة المسيح، ومن ثم نشأة الفرق واختلافاتها، وهذا ما يتبين من خلال تحليلنا نص "التمهيد" المتعلق بمناقشة معتقدات النصارى، والطريقة التي درسها بها الباقلاني.

أولاً: تحليل نص التمهيد

في "باب أقسام المحدثات" يورد الباقلاني الجواهر ضمن المحدثات في قوله: "والمحدثات كلها تنقسم ثلاثة أقسام، فجسم مؤلَّف، وجوهر منفرد، وعرَضٌ موجود بالأجسام والجواهر".[1]

وهذه المقدمة المنهجية تخرج الذات الإلهية من أنها جوهر أو جسم أو عرَض، باعتبار أن هذه الثلاثة محدثات لا قديمة بذاتها ولا بغيرها، ومن ثم يضح أن بيان اللغة العربية جعل من هذه المفاهيم الثلاث مما يقع في جانب المحدثات، ومما يجعل ما عليه النصارى من اعتقاد في ألوهية عيسى عليه السلام يدخل معنى المحدثات في مجال الألوهية، وإلا كيف يمكن أن يكون الإله متعلقًا بالناسوت الذي هو من معاني الأجسام، وما تعترضه من أعراض مثل الحركة والسكون وغيرها؟

وهذه المقدمة المنهجية التي أشرنا إليها، هي ما نناقشه بالتفصيل في المسائل التي رد فيها الباقلاني على معتقدات النصارى.

المسألة الأولى: نقض الباقلاني قول النصارى إن الله سبحانه جوهر

بنى النصارى قولهم إن الله سبحانه جوهر[2] -كما يذكر الباقلاني- على أربعة أدلة:

أولها قولهم: "أننا وجدنَا الْأَشْيَاء كلهَا فِي الشَّاهِد والوجود لَا تَخْلُو من أَن تكون جَوَاهِر

---

https://www.papalencyclicals.net/councils/ecum04.htm (Retrived on, 1/12/2023)

[1] الباقلاني، **التمهيد** (تحقيق الخضيري وأبو ريدة)، ص41.

[2] لويس غارديه، جورج قنواتي، **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**، ترجمة: صبحي الصالح، الأب فريد جبر، (بيروت: دار العلم للملايين، د.ت)، ج1، ص283.

وأعراضًا؛ وَقد اتفقنا على أَن الْقَدِيم لَيْسَ بِعرَض؛ فَوَجَبَ أَن يكون جوهرًا".[1]

وثانيها قولهم: "أَنا وجدنَا الْأَشْيَاء كلهَا لَا تخرج عَن قسمَيْنِ: إِمَّا قَائِم بِنَفسِهِ أَو قَائِم بِغَيْرِهِ؛ والقائم بِغَيْرِهِ هُوَ الْعرض والقائم بِنَفسِهِ هُوَ الْجَوْهَر".[2]

وثالثها قولهم: "أَنا وجدنَا الْأَشْيَاء كلهَا على ضَرْبَيْنِ فَضرب مِنْهَا يَصح مِنْهُ الْأَفْعَال وَهُوَ الْجَوْهَر وَضرب تتعذر وتمتنع مِنْهُ الْأَفْعَال وَهُوَ الْعرض فَلَمَّا ثَبت أَن الْقَدِيم فَاعل وَمِمَّنْ تَأتي مِنْهُ الْأَفْعَال ثَبت أَنه جَوْهَر".[3]

ورابعها قولهم: "أَنا وجدنَا الْأَشْيَاء على ضَرْبَيْنِ شرِيف وَهُوَ الْجَوْهَر الْقَائِم بِنَفسِهِ المستغني فِي الْوُجُود عَن غَيره وخسيس قَائِم بِغَيْرِهِ ومحتاج إِلَيْهِ وَهُوَ الْعرض فَلَمَّا لم يجز أَن يكون الْقَدِيم من قبيل الخسيس ثَبت أَنه شرِيف وَأَنه قَائِم بِنَفسِهِ".[4]

ينقض الباقلاني قولهم بالجوهر، وأقوى حججه في ذلك نفيه صحة هذا النوع من القياس؛ قياس الغائب على الشاهد، إذ يرد الباقلاني فكرة قياس الغيب على ما هو في عالم الشهادة، ويفند فكرة أن معرفة الغائب يكفي فيها القياس على الشاهد المألوف، وذلك أنه قياس ينطوي على الغلط والخطأ الفاحش، لاختلاف عالم الغيب عن عالم الحس والمشاهدة، وكأن الباقلاني – وقبل الدخول في تفاصيل مناقشة مسألة الجوهر، وأن الباري عز وجل جوهر – ينقض صحة نهج قياس الغائب على الشاهد، وما تسببه من غلط فاحش، لأن هناك فرقًا واختلافًا بين العالمين، فلا يمكن قياس أحدهما على الآخر، وقد توسع الباقلاني في ذكر الأمثلة الناقضة لقول النصارى بقياس الغائب على الشاهد.[5]

بعد ذلك ينتقل الباقلاني إلى مناقشة مسألة الجوهر، وهنا يبدأ بنقض ما ذهب إليه

---

[1] الباقلاني، **التمهيد** (تحقيق الخضيري وأبو ريدة)، ص78–79.

[2] المصدر السابق، ص79.

[3] السابق نفسه.

[4] السابق نفسه.

[5] المصدر السابق، ص79-80.

النصارى في فكرة الجوهر، وذلك بالاستدلال عليهم بفكرة الدور أو التسلسل، ويحتج لذلك بأن ما من شاهد إلا وهو محدث ويسبقه محدث آخر إلى غير نهاية، ولو سلّم النصارى بذلك، لقالوا بقدم العالم وصاروا إلى مقالة الدهرية، وهذا مما لا يقولون به، مما يجعلهم في اضطراب في بناء الدليل.[1]

وهذا الخلل من النصارى في قولهم بقياس الغائب على الشاهد، أوقعهم في خلل آخر يتعلق بالقدم والحدوث وارتباطهما بالعرض، وذلك أن ما رأوه في الشاهد – جوهرًا أو عرضًا – قاسوا عليه الغائب، وهذا يجعلهم في حرج في القول بتحيز الجوهر، فإن قبلوا أن الله سبحانه جوهر فإنه بالضرورة متحيز، وبذا يرى الباقلاني أنهم يتركون دينهم، ولا يستقيم حسب منطقهم إلا التسليم بأن الباري سبحانه ليس بجوهر ولا عرض ولا متحيز ولا كالموجودات في الشاهد.[2]

ثم يرد الباقلاني عليهم أيضًا ربط حجتي النصارى الثالثة والرابعة معًا بأن ما من شيء إلا وهو فاعل بنفسه، شريف حامل الأعراض، أو عرض خسيس ليس بفاعل، مع قولهم إن القديم شريف فاعل بنفسه، مما يقتضي قولهم إنه حامل الأعراض، ولكن إن قالوا إنه حامل الأعراض فإنهم سيخالفون دينهم ذاته، وإن رفضوه أبطلوا استدلالهم حسب رأي الباقلاني.[3]

ومما نجده في مصطلحات الباقلاني عند نقاشه للنصارى استعماله مصطلح "الجوهر" الذي لم يبين الباقلاني مصدره؛ أهو ذو أصل عربي، أم مترجم عن أصل أجنبي قد يكون سريانيًا أو يونانيًا؟ وكذلك المعنى الذي أعطاه الباقلاني لمصطلح "الجوهر"، فبالرجوع إلى ما استقر في المعرفة الكلامية الإسلامية –كما تضمنته كتب المعاجم والتعريفات – أن ما استقر عليه المصطلح ليس هو المعنى الذي استعمله الباقلاني.

---

[1] المصدر السابق، ص80.

[2] السابق نفسه.

[3] المصدر السابق، ص80-81.

وعلى الرغم من أن الباقلاني قد استعمل المصطلحات الكلامية كما سبق القول، جعل الجواهر ضمن المحدثات كالجسم والعرَض، وذلك جريًا على بيان اللغة العربية في الاحتجاج، في حين نجد أصحاب المعاجم التي جاءت بعده واستقر عندها المصطلح يعرّفون الجوهر بدلالات أخرى، كما فعل الجرجاني في "التعريفات" بقوله: "الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو مختصر في خمسة، هيولى، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل..." .[1]

وكعادة الباقلاني،[2] لم يذكر مصادره التي استقى منها مقولات النصارى وحججهم التي كان يناقشها في "التمهيد"، مما يجعلنا نخمن أن تلك المقولات والحجج التي رد عليها كان مما استقاه من مناظراته ومجالساته وسفارته إلى ملك الروم.[3]

وما يمكن قوله في شأن مناقشة الباقلاني ما ذهب إليه النصارى والحجج الأربعة التي أقاموا عليها مبدأ الجوهرية؛ أن الباقلاني رأى أن اللاهوت النصراني في زمانه لا يستطيع أن ينزه الله عز وجل، بسبب عقيدة التثليث التي بنوها على قياس الغائب على الشاهد، فمبدأ الجوهرية القائم على الشاهد يتضمن تجسيدًا للذات الإلهية، وهذا اقتضى منهم – اتباعًا لهذا المنطق – أن يضفوا على الذات صفات تجسيدية، ومن ثم نشأت فكرة الأقانيم؛ الأب والابن والروح القدس، التي وقع لهم فيها اضطراب، في أنها جواهر متعددة، أم ذات لها

---

[1] الشريف الجرجاني، **التعريفات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983)، ص79.

[2] بدران بن لحسن، إبراهيم محمد زين، "الأديان غير الكتابية عند الباقلاني من خلال كتابه التمهيد"، **مجلة التجديد**، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 27(54)، 2023/7/31.

[3] القاضي عياض بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، (المحمدية: مطبعة فضالة، ط1، 1981–1983)، ج7، ص63-68؛ أبو بكر الباقلاني، **المناظرة العجيبة**، جمع وتنسيق: محمد بن عبد العزيز الخضيري، (الرياض: دار الوطن، ط1، 1420هـ/2000م)، ص19-47.

St. Thomas Aquinas, *THE SUMMA THEOLOGICA*. Translated by: Fathers of the English Dominican Province, https://www.documentacatholicaomnia.eu/03d/1225-1274,_Thomas_Aquinas,_Summa_Theologiae_%5B1%5D,_EN.pdf . retrieved on January 11, 2024. p.1229.

جواهر، أم أن الذات (الأقنوم) ليس هو الجوهر، وهكذا تعددت فيها مفاهيمهم وعباراتهم، كما يتبين عند إيراد مناقشة الباقلاني فكرتي الأقانيم والاتحاد.

المسألة الثانية: نقض الباقلاني معتقد الأقانيم

يرد الباقلاني على فكرة النصارى بقولهم إن معتقد الأقانيم يقوم على أن الباري عز وجل جوهر موجود حي عالم، مما يجعل الأقانيم ثلاثة،[1] ولكن الباقلاني يتبع منطقهم ذاته، ويعترض على قصرهم الأقانيم على ثلاثة، باعتبار أننا نستطيع أن نقول إن الباري جوهر موجود حي عالم قادر، فإذا احتج النصارى بأن القدرة ترجع إلى صفة الحياة؛ اعترض عليهم بأن العلم يرجع أيضًا إلى صفة الحياة، ومنه يلزم جعل الأقانيم اثنين لا ثلاثة.

فإن اعترضوا بأن العلم يوجد ويفقد وينقص ويزيد والحياة باقية، مما يجعل العلم غير الحياة، يرد عليهم الباقلاني بأن القدرة أيضًا توجد وتعدم وتزيد وتنقص، مما يجعل القدرة غير الحياة، فما وجه قبول العلم ورفض القدرة أقنومًا؟

فإن قالوا: "دخول حرف المبالغة في صفة العالم في قولنا عالم وأعلم منه، واستحالة المبالغة في صفة الحي والتفضيل بين الحيين، دليل على أن العلم ليس من الحياة في شيء؛ قيل لهم: فقولوا لأجل هذا بعينه إن القدرة غير الحياة؛ لأننا قد نبالغ في صفة القادر ونقول: قادر وأقدر منه، ولا نقول حي وأحيا منه؛ فوجب أن تكون القدرة غير الحياة".[2]

ثم يشقق الحجة ليشمل سائر الصفات المعنوية، وعليه تتعدد الأقانيم، وتصير في جملتها بعدد تلك الصفات، ومن ثم يبدو جليًا أن حصر الأقانيم في ثلاثة لا يقوم على منطق ولا حجة متماسكة.

ثم يناقش الباقلاني فرق النصارى في موقفهم من الصلة بين الجوهر والأقانيم، إذ تذهب اليعقوبية والنسطورية إلى أن الجوهر ليس غير الأقانيم، في حين تذهب الملكية

---

1 Aquinas, *THE SUMMA THEOLOGICA*, pp. 1229-1230.

[2] الباقلاني، **التمهيد** (تحقيق الخضيري وأبو ريدة)، ص81-82.

(الروم) إلى أن الجوهر غير الأقانيم، وكلا الموقفين يثير مشكلات في معتقد التثليث.

فبالنسبة إلى ما ذهبت إليه اليعقوبية والنسطورية أن "ليس الجوهر بغير الأقانيم"؛[1] يوقعهم ذلك في مشكلة التناقض مع قولهم إن نفس الجوهر غير متعدد ولا متباين ولا مختلف، ولكنهم يقولون إن الأقانيم متعددة مختلفة متباينة من حيث إن أقنوم "الابن منها تدرّع واتحد بجسد المسيح عليه السلام دون الروح"،[2] فلا يمكن الجمع بين تعدد الأقانيم وبين أن نفس الجوهر لا تتعدد في صلتها بهذه الأقانيم بوصفه جوهرًا جامعًا هذه الأقانيم المتعددة.

وهذا القول عن نفس الجوهر الذي صاروا إليه بسبب نفيهم أن "ليس الجوهر بغير الأقانيم"، يؤدي إلى قول في الجوهر لا يقبلونه، ولا يذهبون إليه.

أما الملكية الذي يقولون إن "الجوهر غير الأقانيم"،[3] فقد صارت عندهم مشكلة في إثبات التثليث، فإن قالوا إن الجوهر إله وإن الأقانيم الثلاثة إله؛ صارت الآلهة عندهم أربعة؛ "جوهر وثلاثة آلهة"، وهذا يؤدي إلى إبطال معتقدهم في التثليث، وإن قالوا إن هناك ثلاثة أقانيم وجوهرًا جامعًا لها، وأن الجوهر ليس بإله؛ صار وجوده كعدمه، ونفيه كإثباته، وهذا لا يذهب إليه عاقل، وإنما يفتح باب التساؤل في أن التثليث يمكن أن يختزل إلى اثنين أو واحد، وذلك أنه يمكننا القول "عن الروح والعلم مع الإله الموجود واحدًا فقط، وأن يكون أقنومًا واحدًا، ولا يكون الثاني والثالث شيئًا يزيد على الواحد، كما لم يكن الرابع شيئًا يزيد على الثالث"،[4] وبذا تكون الأقانيم الثلاثة "هي جوهر واحد، كما كانت الأربعة التي منها الجواهر ثلاثة"،[5] وإثبات أن الجوهر غير الأقانيم يفضي إلى زيادة الآلهة على الثلاثة أو

[1] المصدر السابق، ص82.

[2] المصدر السابق، ص83.

[3] السابق نفسه.

[4] السابق نفسه.

[5] السابق نفسه.

نقصانها، ويبطل عقيدة التثليث جملة وتفصيلاً.

ثم يدخل الباقلاني بعد ذلك في حجاج في مسائل تتعلق بالأقانيم وصلتها بالجوهر، في تفصيل أكثر لبيان حجته في شأن صلة الأقانيم بالجوهر وصلة بعضها ببعض، وكلها تفضي إلى ترك عقيدة التثليث.

المسألة الثالثة: نقض الباقلاني لمعتقدهم في الاتحاد

كان الباقلاني مدركًا أهمية قضية الاتحاد في اللاهوت النصراني وارتباطها بمسألتي الجوهر والأقانيم، ولذلك كانت ثمة تبعات لاهوتية للقول بموقف بعينه في الجوهر أو الأقانيم على مقالتهم في الاتحاد، وهذا الترابط بين مسائل الجوهر والأقانيم والاتحاد مما اكتشفه الباقلاني حال نقاشه النصارى في كيفيات بناء لاهوتهم في عقيدة التثليث.

ففي تقديمه عقيدة الاتحاد يبيّن لنا الباقلاني أن فرق النصارى قد اختلفت في عباراتها في التعبير عن الاتحاد، من مثل قولهم إنه اختلاط وامتزاج، أو إن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا بالاتحاد، أو إنها اتخذته هيكلًا ومحلًا، ثم جاء بأمثلة تبين هذا الاتحاد، من مثل امتزاج الماء بالخمر أو اللبن، ثم تطور نقاشهم في ذلك إلى أن الاتحاد ليس امتزاجًا أو اختلاطًا، وإنما هو انعكاس صورة الإنسان في المرآة من غير حلول صورة الإنسان في المرآة، أو "كظهور نقش الخاتم وكل طابع في الشمع والطين وكل ذي لين قابل للطبع من الأجسام من غير حلول نقش الخاتم والرشم في الشمع والطين والتراب والدقيق".[1]

والباقلاني في هذه النقطة الخلافية بين فرق النصارى، بدأها بقضية عامة عن المعنى العام للاتحاد بين أنه اختلاط وامتزاج أو انعكاس وظهور كظهور نقش الخاتم والطابع، فكانت هذه المعاني المختلفة التي ذهبت إليها فرق النصارى مقدمة ينقض على أساسها الباقلاني أقوالهم في الاتحاد، وما يفضي إليه من صلة القديم بالمحدث.

[1] أبو بكر الباقلاني، **كتاب التمهيد**، تحقيق: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، (بيروت: المكتبة الشرقية، 1957)، ص87-88.

ثم ينتقل الباقلاني إلى بيان كيفية اتحاد الكلمة بجسد المسيح على أكثر من معنى؛ أولها أنها حلته من غير مماسة ولا ممازجة ومخالطة، ويأتي بأمثلة كقولهم: "إن الله حالّ في السماء وليس بمماس ولا مخالط لها"،[1] أو: "العقل جوهر حالّ في النفس وهو مع ذلك غير مخالط للنفس ولا مماسٍّ لها".[2]

ومن ثم ينتقل الباقلاني إلى القضية الأساس في الخلاف بين فرق النصارى، قائلًا: "وزعمت الروم وهم الملكية، أن معنى اتحاد الكلمة بالجسد أن الاثنين صارا واحدًا، وصارت الكثرة قلة، وصارت الكلمة وما اتحدت به واحدا، وكان هذا الواحد بالاتحاد اثنين قبل ذلك"،[3] وهذا القول من الباقلاني تلخيص لتعريف الإيمان الذي وافق عليه مجمع خلقيدونية في جلسته الخامسة، وأُصدر رسميًا في الجلسة السادسة بحضور الإمبراطور والسلطات الإمبراطورية، والصيغة المقبولة في المرسوم هي: "المسيح واحد في طبيعتين"، وهذا يتفق مع رسالة ليو إلى فلافيان القسطنطيني، وقد ورد ذكر رسالة ليو صراحة في تعريف الإيمان.[4]

ثم يفند الباقلاني مثال الاتحاد على أساس أنه "ظهور الابن في الجسد وادّراعه له على سبيل ظهور الوجه في المرآة والنقش في المطبوع من غير حلول الوجه في المرآة وانتقال النقش إلى الشمع"،[5] بسبب أن ما يحدث في المرآة ليس اتحادًا وإنما هو انعكاس، وكذا الحال في النقش، إذ لا ينتقل الخاتم إلى الشمع، وذكر الباقلاني أنه ناقش هذه المثل في التعبير عن الاتحاد في مواضع أخرى مما يغني عن ذكرها مرة ثانية.[6]

ثم يستنتج الباقلاني من مثال نقش الطابع قائلاً: "فيجب على هذا – إن لم تكن

---

[1] الباقلاني، **التمهيد** (تحقيق مكارثي)، ص88.

[2] السابق نفسه.

[3] السابق نفسه.

[4] Council of Chalcedon – 451 A.D., Papal Encyclicals Online. https://www.papalencyclicals.net/councils/ecum04.htm (Retrieved on, 1/12/2023)

[5] الباقلاني، **التمهيد** (تحقيق مكارثي)، ص89.

[6] السابق نفسه.

الكلمة هي نفسها الظاهرة في جسد المسيح - أن يكون الظاهر فيه غيرها وهو شيء مثلها، وأن يكون لله ابنان وكلمتان، أحدهما لا يحلّ الاجسام ولا يتخذها هيكلًا ومكانًا، والآخر حالّ في جسد المسيح"،[1] ثم يبيّن لهم خطل مقولتهم هذه بأنها تؤدي إلى القول "بأربعة أقانيم وترك القول بالتثليث".[2]

وينتقل الباقلاني إلى مناقشة مثال الاتحاد بالاختلاط والممازجة، قائلاً: "إذا جاز على الكلمة الحلول في الجسد المخلوق وممازجتها له واختلاطها به - وهي مع ذلك قديمة - فما أنكرتم من اجتماعها مع الجسد ومماستها له؟ وإذا جاز على القديم سبحانه المماسة والمجاورة والمخالطة للمحدث والممازجة له، فلم لا يجوز عليه مقابلة المحدث ومحاذاته؟"،[3] وهذه مشكلة اتصال القديم بالحادث التي وقع فيها النصارى حال قولهم باتحاد الكلمة القديمة بالجسد المخلوق، ولن يجدوا سبيلًا مقنعًا في نفي القدم عن الجسد المخلوق المحدث، وبذلك تصير عندهم كل الحوادث قديمة، وذلك لا يقول به عاقل.

ثم يتجه الباقلاني إلى نقض عقيدة الطبيعتين لدى اليعقوبية، بقوله: "إذا جاز أن ينقلب ما ليس بلحم ولا دم لنفسه، وما هو مخالف للدم واللحم لنفسه، لحمًا ودمًا بالاتحاد، فلم لا يجوز أن تنقلب الكلمة التي تخالف المحدثات لنفسها وليست بمحدثة لنفسها محدثة بالاتحاد؟".[4]

ثم يستنتج الباقلاني من ذلك قائلًا: "فيصير القديم لنفسه محدثًا عند اتحاده بالمحدث كما صار لحمًا ودمًا عند اتحاده باللحم والدم".[5]

ثم يبين لهم مؤدى قولهم في شأن الطبيعتين، "فتصير الطبيعتان واحدة، ويصير ما ليس

---

[1] السابق نفسه.

[2] السابق نفسه.

[3] السابق نفسه.

[4] المصدر السابق، ص90.

[5] السابق نفسه.

بلحم ولا دم لحمًا ودمًا"، إن أرادوا الخروج من كيفية اتصال القديم بالمحدث، وتحول القديم إلى محدث، ويختم حجاجه قائلًا: "ولا يجدون إلى دفع ذلك سبيلًا".[1]

ثم يأتي الباقلاني إلى نقض مقالة حلول الكلمة في الناسوت من غير مماسة، حينما يشبِّهها بعضهم بحلول الباري سبحانه في السماء، وكحلوله على العرش من غير مماسة لهما، فيرد عليهم الباقلاني بأنه لا يمكن الفصل بين الحلول والمماسة، ولذلك لا يكون القول بالحلول من غير مماسة مسوّغًا في العقل، فكأن العبارة متناقضة في نفسها.[2]

ثم ينتقل إلى قضية أن العقل جوهر حالّ في النفس غير مماس لها، ويثبت بطلان ذلك، لأن الجوهر لا يحل في العرض، وإنما مكان حلوله هو الجسم على سبيل المماسة، ويشبه ذلك بحلول الماء بالجب والدهن في القارورة، ومن ثمّ لا يقع الحلول بالمماسة والملاصقة، ولما كانت المجاورة والاجتماع من صفات الاجسام، قرر الباقلاني أن كلمة الله ما دامت ليست جسمًا، لا يجوز عليها الاتحاد والحلول في الأماكن.[3]

وبما أن فرق النصارى تختلف في القول بالطبيعة الواحدة، وتتفق في القول بالاتحاد،[4] يرد الباقلاني على جميعهم باستحالة الاختلاط والامتزاج بين ما هو قديم وبين الجسم المحدث؛ لأن "هذه الأمور أجمع تختص بالأجسام ولا تجوز إلا عليها".[5]

ويقرر الباقلاني: "لم يصح الاتحاد على الكلمة القديمة، ولا أن يصير الاثنان واحدًا أبدًا؛ لأنه معلق بمحال لا يصح، وهو مماسة ما ليس بجسم ولا جوهر للأجسام والجواهر، وذلك ممتنع محال".[6]

---

[1] السابق نفسه.

[2] السابق نفسه.

[3] المصدر السابق، ص90-91.

[4] St. Thomas Aquinas, *Of God and His Creatures*, (London: Burnes & Oates, 1905), P. 57; Council of Chalcedon – 451 A.D., Papal Encyclicals Online. https://www.papalencyclicals.net/councils/ecum04.htm (Retrieved on 1/12/2-23)

[5] الباقلاني، **التمهيد** (تحقق مكارثي)، ص90.

[6] المصدر السابق، ص91.

ويستدرك الباقلاني على الملكية قائلًا: "إذا جاز أن يتحد قديم بمحدث فيصيران واحدًا، وقد كانا اثنين قبل الاتحاد"،[1] ثم يأتي بمثال ليثبت خطل هذا القول: "فما أنكرتم من أن يتّحد محدث بمحدث، إذا خالطه ومازجه، فيصيران بذلك واحدًا؟"،[2] وكل ذلك فيه معاندة لما استقر من أن جمع الواحد يصير اثنين لا واحدًا، وهذا المنطق الذي بنوا عليه الاتحاد لا يتفق مع بدائهِ العقول في أن جمع الواحد مع الآخر يصيرهما اثنين.

ويستمر الباقلاني في تفنيد ما ذهبت إليه الملكية في اتحاد الكلمة بالجسد بأن تسليمهم بأن الكلمة كلية وأن الجسد جزئي، يوصلهم إلى القول عن الاتحاد بأن المسيح كلي من جهة وجزئي من جهة أخرى، وهذا يجعل الكلي والجزئي يجتمعان في محل واحد، وهذا يخالفهم فيه اليعقوبية والنسطورية، فضلًا عن أنه مما تأباه بدائه العقول.[3]

ويجمع الباقلاني في حجته النظر في صلة الإنسان الكلي – وهو الجوهر الجامع لسائر الأشخاص – وبين الابن في أنه أحد الأقانيم الثلاثة، ليقرر "فهو من حيث القنومية شخص واحد جزئي، فإذا صار عند الاتحاد بالإنسان الكلي... شيئًا واحدًا، وجب أن يكون كليًا جزئيًا".[4]

ثم يصوب الباقلاني نظره إلى مقالة من قام بفعل الاتحاد؟ فهناك احتمالان، أولهما ألا يكون قد فَعَلَ فِعلَ الاتحاد فاعل، وثانيهما أن يكون قد أحدثه الابن أو الروح القدس أو الأب أو الجوهر الجامع للأقانيم الثلاثة، والاحتمال الأول لا تقول به أي من فرق النصارى، والاحتمال الثاني يوقعهم في القول إن الأقانيم الثلاثة والجوهر الجامع لها قد قاموا بفعل الفعل، وذلك يناقض عقيدتهم في أن المتحد هو الابن فقط، وإن فعل الفعل كل واحد منهم فذلك يؤدي إلى التمانع، إذ يجوز أن تكون جملة من الحوادث يوقعها كل واحد

---

[1] السابق نفسه.

[2] السابق نفسه.

[3] المصدر السابق، ص92.

[4] السابق نفسه.

منهم على حدة، ليختم القول في ذلك بأنهم "لا يجدون إلى دفع ذلك سبيلًا".[1]

ثم ينتقل الباقلاني في الحديث عن كيفية الاتحاد قائلًا: "خبرونا كيف اتحدت الكلمة التي هي الابن بجسد المسيح دون الأب والروح مع قولكم بأنه غير مباين لهما ولا منفصل عنهما؟"،[2] ويأتي بمثل عن تمازج الماء والخمر، وأن الشارب للخمر يجمع بينهما لاستحالة الفصل بينهما حال الشرب، وكذا الحال في الصلة بين الابن والأب والروح، حسب معتقدهم القائل إن الأب والروح والابن غير متباينين ولا منفصلين، فعليه يقع الاتحاد لثلاثتهم.

وحال إجابتهم: "إن الكلمة اتحدث بالإنسان الكلي في الجزئي الذي ولدته مريم"،[3] ينبههم الباقلاني على أن موضع الخلاف ليس في أمر الكلي والجزئي، وإنما في كيفية اتحاد أحدهم من دون الآخرين، على الرغم من قولهم إنه غير مباين لهما ولا منفصل عنهما.

ثم ينتقل الباقلاني في تفنيد القول بالاتحاد إلى مناقشته مسألة الاتحاد هل كانت اتحاد الكلي بالجزئي لا في مكان أو في مكان؟ فإن كانت لا في مكان، فلا ميزة للجسد الذي ولدته مريم على سائر الأجساد المولودة، وإن كانت في مكان، فمعناه تحيز الكلي في الجزئي، وإحاطة الجزئي المتحيز الصغير بالكلي المطلق الكبير، و"هذا عكس ما في العقل وقلبه، لأن ذلك لو جاز، لجاز اشتمال العدد القليل على العدد الكثير وزيادته عليه، ولجاز أن يكون الصغير من الاجسام محيطًا بالعظيم وحاويًا له"،[4] ويختم الباقلاني بقوله: "وإذا علمنا بأوائل العقول فساد ذلك، علمنا أيضًا استحالة اتحاد الابن بالكلي".[5]

ثم ينظر الباقلاني في مسألة تقع للملكية من دون غيرهم، قائلاً: "خبرونا كيف ولدت

---

[1] المصدر السابق، ص93-94.

[2] المصدر السابق، ص94.

[3] السابق نفسه.

[4] المصدر السابق، ص95.

[5] السابق نفسه.

مريم الابن دون الأب وروح القدس، وهو غير مباين لهما ولا منفصل عنهما؟"،[1] ويبيّن لهم في حجاجه أن لا فكاك لهم من القول إن المتحد بالجسد في بطن مريم يجب أن يكون الأب كذلك والروح القدس والجوهر الجامع للأقانيم، بحسب اعتقادهم أن الابن غير مباين لهما ولا منفصل عنهما، ويعلق الباقلاني على ذلك قائلًا: "كيف يكون منه مولود ومنه غير مولود ومنه متحد ومنه غير متحد، لولا الجهل والعجز؟".[2]

ثم يدخل الباقلاني في كلام دقيق عن علاقة الكلي بالجزئي، في ميلاد الجسد من مريم الذي حل فيه الابن، قائلًا: "وإن قالوا إن الإنسان المأخوذ من مريم، الذي اتحدت به الكلمة، إنسان كلي"،[3] ويسأل الباقلاني قائلًا: "أفليس هذا الإنسان المولود من مريم هو ابن مريم؟"،[4] وإجابتهم طبعًا توقع في القول إنه كلي وأمه مريم إنسان جزئي، أي إن الإنسان الكلي ابن للإنسان الجزئي، ويسخر منهم قائلًا: "وهذا طريف جدًا".[5]

ثم يدخل في افتراضات علاقة الكلي بالجزئي قائلًا: "لأننا لو فرضنا عندهم عدم مريم، لم يعدم الإنسان الكلي، ولو فرضنا عدم الإنسان الكلي، لم تكن مريم ولا غيرها من جزئيات الإنسان"،[6] وإن جاز أن يكون الكلي ابنًا للجزئي، فلماذا لا يجوز لمريم أن تكون ابنة عيسى المولود منها، أو أن يكون آدم ونوح ابني مريم التي هي ابنة لهما، لأن كل ذلك جائز في صلة الكلي بالجزئي حسب مقالتهم؟ ولذلك يرى الباقلاني أن ما ذهبوا إليه علامة على الجهل، أو بعبارته: "هذا تجاهل عظيم لا يبلغه صاحب تحصيل".[7]

ثم ينتقل الباقلاني في بيان صلة الاتحاد بالصلب في مسألة يرى أنهم يتفقون عليها،

---

[1] السابق نفسه.

[2] المصدر السابق، ص96.

[3] السابق نفسه.

[4] السابق نفسه.

[5] السابق نفسه.

[6] المصدر السابق، ص97.

[7] السابق نفسه.

قائلًا: "ويقال لجميعهم خبرونا عن اتحاد الابن بالجسد أكان باقيًا موجودًا في حال وقوع القتل والصلب به أم لا؟".[1]

ويقول الباقلاني في إجابتهم المثبتة اتحاد الابن بالجسد، إنها تؤدي إلى موت المسيح؛ أي موت الإله القديم، وأن في ذلك موتًا للأب والروح القدس كذلك، وأما إجابتهم النافية اتحاد الابن بالجسد حال الصلب والقتل، فإنها وإن كانت تخرجهم من حرج الإثبات، توقعهم في القول إن الذي صُلب هو الجسد لا المسيح، وذلك مفارق معتقدهم في قضية الصلب.[2]

ثم يأتي إلى ربط مسألة المعجزات بالاتحاد بسؤال استنكاري، قائلًا: "لم قلتم إن كلمة الله اتحدت بجسد المسيح من دون جسد موسى وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء؟"،[3] فإن كانت إجابتهم قائمة على معجزات عيسى عليه السلام، وأنه أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، وجعل قليل الماء كثيرًا، وقلب الماء خمرًا، ومشى على الماء، وصعد إلى السماء، وغيرها من عجيب الآيات، فينبههم الباقلاني إلى أن فاعل هذه المعجزات هو الله، وقد أظهرها على يد عيسى كما أظهرها على يد غيره من الأنبياء، ومن ثم لا نثبت له الألوهية بسببها، وإلا أثبتناها لغيره من الأنبياء.[4]

وكما أكدنا من قبل معرفة الباقلاني بأسباب الخلافات بين فرق النصارى في طبيعة المسيح، وأنها ترجع إلى مخرجات وثائق مجمع خلقدونية، فإنه في هذه المسألة المتعلقة بالمعجزات ينقل نصوصًا من الأناجيل وبعض أسفار العهد القديم، مطابقة تمامًا نصوص الأناجيل والأسفار كما هي عند النصارى، وقد أثبتها في الهامش الأب مكارثي عند تحقيقه نص كتاب "التمهيد".[5]

---

[1] السابق نفسه.

[2] السابق نفسه.

[3] السابق نفسه.

[4] المصدر السابق، ص98.

[5] المصدر السابق، ص99.

وانتقل الباقلاني في نقاشه مسألة الاتحاد بالنظر في نصوص العهدين القديم والجديد، ومناقشة تلك النصوص لإثبات أن عيسى مثله مثل موسى وسائر الأنبياء عليهم السلام، ومن النصوص التي نقلها من العهدين الجديد والقديم: "رب إن كان في مشيئتك أن تصرف هذه الكأس عن أحد، فاصرفها عنّي"، وكذلك قول المسيح عليه السلام حينما أراد أن يحيي رجلًا: "يا أبي، أدعوك كما كنت أدعوك فتستجيب لي، وإنما أدعوك من أجل هؤلاء القوم ليعلموا"، وقوله: "يا أبي أنا أحمدك"، وقال وهو على الخشبة عند صلبه: "إلهي، إلهي، لم تركتني؟".[1]

ثم جاء بمعجزات موسى عليه السلام، وذكر أن كانت حجتهم بين معجزات عيسى وموسى، أن عيسى أراد تعليم الحواريين في دعائه، ويقال لهم إن ذلك ينطبق على معجزات موسى عليه السلام، أنه أراد كذلك تعليم بني إسرائيل، ومن ثمّ يمكن الادعاء بألوهية موسى، ولا يستطيع النصارى دفع ذلك.[2]

ويستمر الباقلاني في دحض حجتهم الدالة على ألوهية المسيح في النظر في المعجزات عند قولهم إن المسيح "اسم لمعنيين؛ لاهوت هو إله، وناسوت هو إنسان مخلوق"،[3] فينسبون الدعاء والتضرع للإنسان والخلق والمعجزة للإله من دون الإنسان، فيجيبهم الباقلاني قائلًا: "فما أنكرتم أيضًا من أن يكون موسى اسمًا لمعنيين، إله وإنسان؟"،[4] فما كان على سبيل الدعاء والرغبة فهو من الإنسان، وما كان من خلق ومعجزة فهو من الإله.

ويذكر الباقلاني أن المسيح قد اعترف بأنه نبي مرسل وعبد مخلوق، ويأتي بجملة من النصوص من الأناجيل لإثبات ذلك، وهذه النصوص هي: "إني عبد الله أرسلت معلمًا"، وقوله: "فكما بعثني أبي فكذلك أبعثكم، عمّدوا الناس وغسّلوهم باسم الأب والابن والروح

[1] المصدر السابق، ص99، ويُنظر توثيق المحقق مكارثي لنصوص العهدين في هامش "التمهيد".

[2] السابق نفسه.

[3] المصدر السابق، ص100.

[4] السابق نفسه.

القدس"، وكذلك قوله: "اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبي لا يكرم في مدينته"[1].

ثم يرد الباقلاني على زعمهم أن المسيح قد فعل ذلك من جهة ناسوته، ويمكننا القول كذلك إن سائر الأنبياء قد فعلوا ذلك من جهة ناسوتهم، فما وجه تأليه المسيح وعدم تأليه غيره من الأنبياء عليهم السلام؟

جاء في العهدين القديم والجديد: "العذراء البتول تحمل وتلد ابنًا ويدعى اسمه إلهًا"، وجاء في العهد القديم قول الله لموسى: "إني قد جعلتك إلهًا لهارون وجعلتك إلهًا لفرعون".[2]

ذكر الباقلاني أن معنى (إلهًا) هنا يقصد به التدبير، وأنه واجب طاعته، وكانت تلك لغتهم في بيان هذه المعاني، ثم يسترسل في مناقشة النصارى في الجزء الأخير من النص الأول: "يدعى اسمه إلهًا"، قائلًا: "لم يخبر الله تعالى أنه هو سماه أو يسميه إلهًا، وإنما قال: يدعى اسمه إلهًا، فيمكن أن يكون أراد قومًا يغلون في تعظيمه ويدعونه بذلك ويتجاوزون به حدّ الخلق ويكذبون في ذلك ويفترون"،[3] وهذا التفسير الذي اتخذه الباقلاني يدل على نبوءة انحراف النصارى عن القول الحق في شأن عيسى.

ويرد الباقلاني حجتهم في اتخاذ المسيح إلهًا بأنه وُلد من غير أب، بأن منطقهم هذا يجعل من آدم وكذلك حواء أولى بالألوهية، لأن آدم خُلق من غير أب ولا أم، وكذلك حواء خُلقت من ضلعه، ولم تحوِهما بطن، بل يرد عليهم بأن الملائكة أيضًا أولى بالألوهية كذلك، لأنها ليست من ذكر ولا أنثى ولا على وجه التبني.[4]

ثم جاء الباقلاني بنص من الإنجيل يحتج به النصارى على ربوبية المسيح، والنص

---

[1] السابق نفسه، وقد أثبت الأب مكارثي صحة الاستشهادين الثاني والثالث من الأناجيل، ولكنه لم يجد الاستشهاد الأول.

[2] المصدر السابق، ص101، وقد وثق المحقق الأب مكارثي هذه النصوص من العهدين القديم والجديد.

[3] السابق نفسه.

[4] السابق نفسه.

هو قول المسيح: "أنا وأبي واحد، ومن رآني، فقد رأى أبي"،[1] وينصحهم الباقلاني بتأويل هذا النص على معنى الطاعة وسماع الحكمة لا على معنى الربوبية، ثم يقول: "فكأنه قد رآه وسمع حكمته وأمره ونهيه"، وإن عدلوا عن هذا التأويل، فلا بد لهم من الوقوع في القول من أن الأب قد وقع عليه الحمل والولادة والأكل والشرب والحركة والقتل والصلب، وكل ما وقع على جسد المسيح يكون جاريًا على الأب، طالما أن الأب متحد به، وهذا ما لا يقولون به.[2]

ويستمر على ذات المنوال في إيراد نص من الإنجيل، وهو قول المسيح: "أنا قبل إبراهيم"، الذي تتأوله النصارى على أن المسيح قبل إبراهيم بلاهوته وابنه بناسوته، فيقول لهم الباقلاني: "لماذا تنكرون تأويل هذا الكلام من المسيح على أنه يقصد به كثير من ديني وشرعي كان متعبدًا به ومشروعًا قبل إبراهيم على لسان بعض الرسل؟ أو... مكتوبًا عند الله"،[3] وغيرها، وذلك أن تأويلهم يؤدي إلى القول بربوبية جسد "أكل الطعام ومشى في الأسواق"،[4] واحتج عليهم أيضًا بنص في العهد القديم على لسان سليمان عليه السلام، وهو قوله: "أنا قبل الدنيا، وكنت مع الله حيث مدّ الأرض، وكنت صبيًا ألعب بين يدي الله"،[5] وحاجهم الباقلاني بأن يذهبوا بتأويل ذلك النص مثلما ذهبوا في النص المنسوب للمسيح عليه السلام، ويلزمهم من ذلك القول بربوبية سليمان، وهو ما لا يقولون به.[6]

ثانيًا: منهج الباقلاني وطريقته في مناقشة الآراء

عند النظر في مناقشة الباقلاني اعتقادات النصارى نجد أنه ركز على مسائل ثلاث، هي

---

[1] المصدر السابق، ص102، وقد أثبت الأب مكارثي ثبوت النص في إنجيل يوحنا، يُنظر هامش "التمهيد".

[2] السابق نفسه.

[3] السابق نفسه.

[4] السابق نفسه.

[5] المصدر السابق، ص103، وقد أثبت الأب مكارثي وجودها في سفر الأمثال.

[6] السابق نفسه.

الجوهر والأقانيم والاتحاد.

بالنسبة إلى الجوهر، أقام نقضه معتقدهم فيه على أساس إبطال قياس الغائب على الشاهد، لأن الشاهد الذي قاسوا عليه الغائب أوصلهم إلى القول بأن الموجودات المشاهدة جواهر أو أجسام، وكلها متحيزة مشاهدة، وهذا قادهم إلى الوقوع في القول بتحيز الباري عز وجل.

فمسألة قياس الغائب على الشاهد كانت حجة الباقلاني الأساس، وقد لحظ أن اللاهوت النصراني لم يراع فكرة التوحيد القائمة على الفصل بين الحق والخلق، ولكنها أدخلت الحق إلى عالم الخلق في هيئة الابن، وبذلك انتفى عن الأولوهية المرتبطة بالابن التنزيه والتعالي عن الخلق.

ولم يفت الباقلاني في نقاشه هذه القضايا الثلاث؛ الجوهرية والأقنومية والاتحاد، أن ينبه إلى اتفاق بين فرق النصارى الثلاث في مسألة الجوهرية، واختلافها في المسألتين الأخريين.[1]

فأما مسألة الأقانيم فإن الباقلاني نفى أن الأقانيم تقابل الصفات في علم الكلام، واعترض على حصر الأقانيم في ثلاثة، وإمكان الزيادة عليها أو النقصان منها بناء على منطق اللاهوت النصراني نفسه، وكذلك ناقش العلاقة بين الأقانيم والجوهر في إطار أن الأقانيم معدودة متحدة لها معنى، والجوهر واحد، وهنا ناقش الباقلاني آراء الفرق النصرانية الثلاث التي كانت في عصره بعد مجمع خلقيدونية، وهي الملكية (الروم)، واليعقوبية، والنسطورية، فقد وجد أن اليعقوبية والنسطورية يقولون إن الجوهر ليس غير الأقانيم الثلاثة، أما الملكية (الروم) فيقولون إن الجوهر غير الأقانيم الثلاثة.

وهنا وجد الباقلاني أن الفرق الثلاثة تتفق على أن الأب إله، والابن إله، وروح القدس إله، وهو إله واحد كما يقولون، وعلى الرغم من اعتراض الباقلاني على قولهم هذا المنافي

[1] Paul Tillich, *Systematic Theology*, (Chicago: The University of Chicago Press, 1967), pp. 97-101.

للتوحيد، فإنه لا يرد قولهم مجملاً، وإنما يرد عليهم من خلال اختلافاتهم في معنى الأقانيم، وينبه كذلك إلى أن اشتراك كل من الأب والابن في الجوهرية يؤدي إلى مغالطات تمنع تمييز الأب من الابن عن الروح القدس، وكذلك ينبه الباقلاني إلى أن اختلافاتهم في معنى الأقانيم قادهم إلى الاختلافات الشديدة في معنى الاتحاد.

وعند نقاشه اختلاف فرق النصارى في معنى الاتحاد، بيّنَ الباقلاني الإشكالات والمغالطات التي تثيرها هذه المعاني المختلفة، وكانت المسألة الأساس التي وقع فيها الاختلاف في قضية الاتحاد هي طبيعة المسيح؛ أهو من طبيعة واحدة أم من طبيعتين؟ وهنا تبدو براعة الباقلاني في تفصيل نقاش المسألة، وكذلك تظهر معرفته الدقيقة بنصوص العهدين القديم والجديد، ومواثيق مجمع خلقيدونية الذي كان محور مداولاته مسألة طبيعة المسيح كما ناقشها.

وبالنظر في طريقة الباقلاني في بيان الخلاف بين فرق النصارى الثلاث؛ الملكية والنسطورية واليعقوبية، لم يخرج الباقلاني عما ثبت من خلاف بين فرق النصارى في طبيعة المسيح، كما جاء في وثيقة مجمع خلقيدونية الذي انعقد أولًا في نيقية، ثم انتقل بعد ذلك إلى خلقيدونية ليكون قريبًا من القسطنطينية والإمبراطور، والذي بدأ أعماله في 8 أكتوبر 451م، حيث كانت الموافقة على "تعريف الإيمان" في الجلسة الخامسة للمجمع، وإصداره رسميًا في الجلسة السادسة بحضور الإمبراطور والسلطات الإمبراطورية، والصيغة المقبولة في المرسوم هي: "المسيح واحد في طبيعتين"، ومن ثمّ كتب البابا ليو الأول خطابه إلى فلافيان بطريق القسطنطينية في شأن أوطيخيوس المتهم بالخروج عن الإيمان القويم.[1]

ومما يلحظ في طريقة الباقلاني أنه بعد إيراده الحجج والاحتمالات التي تتشقق عنها ونقضها، يختم بعبارات من مثل: "وليس لهم فصل في ذلك"، و"لا جواب عنه"، و"لا يجدون إلى ذلك سبيلًا"، و"لا يجدون لذلك مدفعًا"، و"أجيبوا عن هذا إن كنتم قادرين"،

[1] Council of Chalcedon – 451 A.D., Papal Encyclicals Online.
https://www.papalencyclicals.net/councils/ecum04.htm (Retrieved on 1/12/2-23)

و"لولا الجهل والعجز"، و"إن قالوا: هو كذلك، تركوا قولهم"، و"هذا طريف جدًا"، و"هذا تجاهل عظيم لا يبلغه صاحب تحصيل"، و"هل تجدون في ذلك فصلًا؟"، و"هذا كله ترك لقولهم إن ركبوه"، وغيرها من العبارات التي تدل على أنه يسلم لهم بمنطقهم، ولكن يبين أن هذا المنطق في مؤداه يوقع صاحبه في حرج كبير، لا يستطيع معه احترام بدائه العقول والتمسك بما يؤدي إليه ذلك المنطق، وتلك طريقة مفحمة للخصم، تبيّن له خطل ما هو عليه من اعتقاد، إن كان ما يؤدي إليه هذا الاعتقاد مما لا تقبله بدائه العقول.

ويسعنا القول إن طريقة الباقلاني في عرض اللاهوت النصراني على أساس النظر في مسائل الجوهر والأقانيم والاتحاد، جعلت من الصعب بناء التثليث على التوحيد وبيان أن التثليث أعلى مراتب التوحيد كما أراد يحيى بن عدي في مشروعه اللاهوتي، بل إن الباقلاني أثبت تناقضًا جوهريًا بين التثليث والتوحيد، وفي ذلك ربط بين اللاهوت النصراني في زمانه وبين مقتضيات ومسائل علم الكلام، وذلك ابتكار علمي لم يسبقه إليه أحد، وربما ذهب الأشعري إلى مقالة قريبة من ذلك في كتابه الذي لم يصل إلينا؛ "مقالات الملحدين".

خاتمة

ما يمكن أن نختم به بحثنا هذا عن درس الباقلاني النصرانية، أن الباقلاني – الذي يعد متكلم أهل السنة في زمانه – قد وظف الجهاز المفهومي الكلامي لدرس النصرانية، ولكن لا بطريقة الحجاج والجدل والدفاع عن العقائد الإيمانية في وجه الملحدين، وإنما بنى أطروحته في درس النصرانية ونقض عقائدها في الجوهر والأقانيم والاتحاد على أساس مقدمات عقلية نظرية تستند إلى مبدأ الحدوث والقدم والفصل بينهما، وإبطال قياس الغائب على الشاهد، ثم إلزام النصارى بمنطقهم الذي يرتضونه، وبيان تهافته وتناقض مآلاته، وهذا الذي فصّل فيه الباقلاني عند عرض خلافات فرق النصارى فيما بينهم ومناقشتها، على الرغم من اعتمادهم المنطق نفسه.

ولم يفت الباقلاني – وهو يناقش معتقدات النصارى – أن يستعمل مخرجات المجامع المسكونية بعامة، ومجمع خلقيدونية بخاصة، وكذلك نصوص العهدين القديم والجديد بما يبطل ما ذهب إليه النصارى في تأويلاتهم لمعتقداتهم في الاتحاد.

وختامًا، تعدُّ أطروحة الباقلاني رائدة في درس النصرانية، وتكشف عن اطلاع علماء المسلمين على نصوص العهدين القديم والجديد وتاريخ الكنيسة بما لا يمكن ردُّه، وبما أثبته محققو نصوص كتاب "التمهيد"، كما رأينا في أثناء تحليل نصوصه، وتأكيدات المحقق الأب ماكرثي، وهذا يفتح المجال لمراجعة كثير من الادعاءات عن أن علماء المسلمين كتبوا عن النصرانية كتبات عامة لا تستند إلى نصوص موثقة.

References: **المراجع:**

Al-Ash'ari, Abu al-Hasan. *Maqalat al-Islamiyyin wa Ikhtilaf al-Musallin*, Ed.: Muhammad Muhy al-Din Abdul Hamid, Beirut: Al-Maktaba Al-Asriyya, 1411 AH / 1990 CE.

Al-Bajuri, Salah Mahmoud. "Munazara al-Imam al-Baqillani la-Nasara: Dirasah Aqidiyyah", *Hawlliyat Kulliyat al-Da'wah al-Islamiyya bi al-Qahira*, Al-Mujallad 2017, Al-Adad 29, J1 (31 December / January 2017).

Al-Baqillani, Abu Bakr, *Al-Munazara al-Ajiba*, Ed.: Muhammad bin Abdul Aziz al-Khudayri, (Riyadh: Dar al-Watan, 1st ed., 1420 AH / 2000 CE).

Al-Baqillani, Abu Bakr, *Al-Tamhid*, Ed.: Mahmoud Muhammad al-Khudayri and Abdul Hadi Abu Rayda, (Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, 1947).

Al-Baqillani, Abu Bakr, *Kitab al-Tamhid*, Ed.: Al-Ab Richard Yusuf McCarthy al-Yasui, (Beirut: Al-Maktaba al-Sharqiyya, 1957).

Al-Jahiz, Uthman bin Bahr. *Al-Mukhtar fi al-Radd Ala al-Nasara*, Ed.: Muhammad Abdullah al-Sharqawi, (Beirut: Dar al-Jil, 1st edition, 1411 AH / 1991 CE).

Al-Jurjani, Al-Sharif, *Kitab al-Ta'rifat*, (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st edition, 1983).

Al-Rassi, Al-Qasim bin Ibrahim bin Isma'il al-Hasani. *Al-Radd Ala al-Nasara*, Ed.: Imam Hanafi Abdullah, (Cairo: Dar al-Afaq al-Arabiyya, 1st ed., 1424 AH / 2000 CE).

Al-Saif, Ghalib bin Saud bin Ghazi. "Minhaj al-Qadi Abu Bakr al-Baqillani fi al-Hiwar ma'a al-Nasara Kitab 'Tamhid al-Awail Namuthaja, " *Hawliyyyat Kulliyat al-Dirasat al-Islamiyya wa al-Arabiyya li al-Banat Bani Suwayf*, Vol. 1, Issue no.12, (31 December / January 2020).

Al-Sharafi, Abdul Majid, *Al-Fikr al-Islami fi al-Radd Ala al-Nasara ila Nihayat al-Qarn al-Rabi' al-Hijri*, (Tunis: Dar al-Tunisiyya lil-Kitab, 1986).

Al-Tabari, Ali bin Ruban, *Al-Radd Ala Asnaf al-Nasara*, Ed.: Khalid Muhammad Abduh, (Cairo: Maktabat al-Nafidhah, 1st ed., 2005).

Al-Yahsabi, Abu al-Fadl al-Qadi 'Iyad bin Musa, *Tartib al-Madarik wa Taqrib al-Masalik*,

Ed.: Saeed Ahmad Aarab, (Al-Muhammadiyya: Matba'at Fadala, 1st ed., 1981-1983 CE).

Aquinas, St. Thomas, *The Summa Theologica*, Translated by Fathers of the English Dominican Province, https://www.documentacatholicaomnia.eu/03d/1225-1274, _Thomas_Aquinas, _Summa_Theologiae_%5B1%5D, _EN.pdf. Retrieved on January 11, 2024.

Aquinas, St. Thomas. *Of God and His Creatures*, (London: Burns & Oates, 1905).

Azouzi, Thurya. "Naqd al-Baqillani li Mafhum al-Jawhar 'Inda Nasara 'Asrihi, " *Majallat Al-Ma'yar*, Vol. 23, No. 48, 2019.

Benlahcene, Badrane and Zai, Ibrahim Mohamed, Al-Adyan Ghair al-Kitabiyya 'Inda al-Baqillani Min Khilal Kitabihi "Al-Tamhid, " *Majallat al-Tajdid*, Al-Jami'a al-Islamiyya al-Alamiyya, Malaysia, Mujallad 27, Adad 54, 31/7/2023. https://journals.iium.edu.my/at-tajdid/index.php/tajdid/article/view/1007/802

Council of Chalcedon – 451 A.D., Papal Encyclicals Online. https://www.papalencyclicals.net/councils/ecum04.htm Accessed on December 1, 2023.

Gardet, Louis and Guénot, Georges. *Falsafat al-Fikr al-Dini Bayn al-Islam wa al-Masihiyya*, Tarjamah: Subhi al-Saleh and Al-Ab Farid Jabr, (Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin, n.d.)

Ibn Adi, Yahya, *Maqala fi al-Tawhid*, Ed.: Al-Ab Samir Khalil al-Yasui, (Lebanon: Al-Maktaba al-Bulsiriyya, 1970).

Tillich, Paul, *Systematic Theology*. (Chicago: The University of Chicago Press, 1967).

.